الأستاذ الدكتور بشير محمد* جامعة تلمسان/الجزائر محاضرات في الوحدة البيداغوجية"إعداد المذكرة"

طلبة ماستر 2 السنة الثانية تخصص علم الاجتماع التنظيم والعمل

3-نماذج تطبيقية

4-بعض أهم الإشكالات المنهجية لدى الطلبة

المحاضرة الثالثة والرابعة :نماذج تطبيقية:

ظهر لنا من الوجاهة بمكان تقديم التجسيد التطبيقي الذي قام به "عبد الكريم غريب" لعلم الاجتماع الفعل مع ألان توران كنموذج،نمتثل اليه في ترجمة الفكرة القاعدية لشبكات تحليل باحثينا المعتمدين. لقد انطلق "توران" من الإشكالية التالية: "تعبر المراهقة عن رفض اجتماعي وسيرورة لجواب عن هذا الرفض، فهي بناء عالم اجتماعي يكون فيه المراهق مقبولا ومعترفا به، مما يمكنه من الحصول على صورة إيجابية حول ذاته. تمنحه هذه الصورة هوية وتجعله فاعلا نشيطا. توحي هذه الإشكالية بفرضيتين:

*المراهقون فاعلون اجتماعيون ضمن علاقات اجتماعية منحلة، ويعتبر العنف والرفض لمختلف القيم رد فعل ضد التهميش.

*للتفصيل أكثر في كل هذه العناصر، انظر بشير محمد(شخصي)،علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر:الرعيل الأول،توطئة نذير معروف،الطبعة الثانية،تمسان/الجزائر،دار كنوز النشر والتوزيع،2019.

-تخفي المراهقة سيرورة تكيف، وبذلك تكون محاولة للخروج عن المعايير القائمة من أجل إعادة بناء الذات كعنصر اجتماعي فعال[1].

- العلاقات الارتباطية بين المفاهيم أوالظواهر:

عبد الكريم غريب:

سلوك المراهق ←ضعف بنية العلاقات.

إعادة بناء ←الأفعال العنيفة

***الطرح الوظيفي** (الحداثي) في الجزائر:

الثقافة الجزائرية ←معيقة للتنمية.

البحث في المعارضات، الأعمال التخريبية، العادات والذهنيات المتخلفة.

علي الكنز:

العلاقة الارتباطية: التناقض بين أشكال التنظيم "التيلوري" والتنظيم العام للمجتمع الجزائري.

جمال غريد:

العلاقة الارتباطية: *العقلنات المقدمة ←المشكل السياسي (مسألة السلطة).

*العقلنة الحداثية ←على المستوى الكلي (المجتمع) الصراع بين النخب.

*العقلنة الشائعة ←على المستوى المحلي (المدينة): المؤسسة الصناعية، أعيان المدينة، الجهاز الإداري (البلدية، الدائرة) والجهاز السياسي (حزب جبهة التحرير الوطني).

[1]-عبدالكريم غريب:منهج و تقنيات البحث العلمي:مقاربةابستيمولوجية ،منشورات عالم التربية،1997،ص57.

سعيد شيخي:

العلاقة الارتباطية: نمط حياة الفاعلين ←والتناقضات الداخلية للبنية الاجتماعية.

-العلاقات المعقدة ←والنظام التقني للإنتاج.

-كيفيات الحث عن العمل والوعي بالنفس وبالآخرين وبالمجتمع.

جيلالي ليابس: العلاقة الارتباطية بين:

*فضاء الإنتاج ←والصراعات التاريخية.

*القطاع العمومي والجهد الجماعي للجماعة الوطنية.

محمد مبتول: العلاقة الارتباطية بين:

*تنظيم الإنتاج النظري والمستورد ←والممارسات السوسيو ثقافية حيز التنفيذ بالمصنع.

*المنطق السوسيو سياسي يؤدي إلى التغيب كشكل من أشكال المقاومة لدى العمال.

أحمد هني: العلاقة الارتباطية بين:

***اشتغال النمط الاقتصادي** ←و اشتغال نمط الجمعية الدينية.

*الاستغلال السيئ للمصانع ←وطبيعة النظام الاجتماعي للإنتاج.

الجماعة الكندية: العلاقة الارتباطية بين:

*أشكال التسيير القائمة ←ومتطلبات الواقع الجزائري.

*المثابرة في الجهد والظروف التنظيمية المناسبة.

بشير محمد: العلاقة الارتباطية:

الثقافة المحلية ← الثقافة الغربية (الدخيلة).

الدين الإسلامي ←اللائكية.

الجماعية (التضامن) ـــــــــ الفردانية.

الجهوية ـــــــــ المواطنة.

المحاضرة الخامسة و السادسة :بعض أهم الإشكالات المنهجية لدى الطلبة

نحاول الإجابة على الأسئلة التي تراود الطلبة بعامة و الطلبة الدكتوراليين بخاصة و بعض الأساتذة الشباب، هذه الأسئلة تجلت في شكل ملاحظات و استفسارات لحظة تقديم مضمون هذا الكتاب. ويمكن حصر هذه الأسئلة العديدة المرتبطة أساسا بالجانبين المنهجي و الإبستمولوجي فيما يلي:

-هل الإشكالية تعبرعن تناقض يلاحظه الباحث في الواقع الاجتماعي؟

-هل يمكن الاستغناء عن الفرضيات عند إجراء البحث السوسيولوجي؟

-هل يمكن توظيف أكثر من منهج (نموذج تحليل) في البحث الواحد؟

-هل الظواهر الملاحظة في الواقع هي التي تفرض علينا نموذج التحليل المناسب؟

-ما معنى طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج؟

-هل ما يمتثل إليه الباحثون الكبار (المعترف بهم) يطبق على الباحثين المبتدئين (الدكتوراليين مثلا) الامتثال بنموذج تحليل واحد؟

نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتلها الأداة داخل منهج البحث العلمي،إننا نلاحظ يقول "عبد الكريم غريب" نوع من الخلط بينهما، إذ أصبح الكلام عن الأداة بمعنى المنهج:

-المنهج الوصفي (الملاحظة)

- المنهج التجريبي (التجريب)

- المنهج الإكلينيكي(المقابلة)

- المنهج الإحصائي (الوصف أو التحليل الإحصائي)

- المنهج التاريخي (تحليل المضمون)

- عينة البحث أو مجتمع البحث: تمثل العنصر الأساسي الذي سيقام عليه البحث والتحليل

- الملاحظة:أداة لجمع المعطيات لاختبار الفرضيات

- الاستمارة:تتكون عادة من مجموعة من الأسئلة المرتبة بشكل منطقي

- المقابلة: تتميز بالخصائص نفسها للاستمارة إلا أن أسلوبها شفهي

- التجريب:يفيد في عملية التعرف على المتغيرات المستقلة المسؤولة عن حدوث الظاهرة

- الإحصاء: هو أداة في عملية تكميم النتائج و مقارنتها

*** من بين أهم أشكال العينات:**

الحصصية/ العمدية /التجريبية / الضابطة /العشوائية /العشوائية المنتظمة /الطبيعية /المساحية ...[*]

يلاحظ القارئ لهذا الكتاب أننا أبدينا رأينا في جميع هذه التساؤلات و الاستفسارات و لو بطريقة غير مباشرة في بعض الأحيان. ترتبط حوصلتنا المباشرة هذه استجابة لرغبة طلبتنا للمساهمة في فك لغز هذه الإشكالات، و من تم توضيح الرؤية حسب وجهة نظرنا الخاصة. نعتقد أننا لا نختلف مع المهتمين بالأمر، إذ قلنا منذ البداية أن الإجابة عن هذه المسائل تتطلب مقالات بل كتب حتى تستوفي حقها. لذا نحن واعون بثقل المهمة و مع هذا سنغامر مقتصرين على لملمة بعض العناصر الوجيهة التي قد تساعد في إنارة و تعبيد الطريق لتجاوز الإشكالات المطروحة.

[*]عبدالكريم غريب:منهج و تقنيات البحث العلمي:مقاربةابستيمولوجية، المرجع السابق.

أ/ تختلف الإشكالية عن التناقض بل وحتى عن المفارقة إذ أن التناقض و المفارقة يوجدان في الواقع العيني، أي أنهما موضوعان معطيان في حين أن الإشكالية هي بناء نظري و من ثم فهي موضوعا مبنيا. ويعني البناء النظري طرح الحدث الاجتماعي أو الثقافي في ظل مقاربة نظرية معينة.

ب/ نعتقد أن الجدل القائم المتمثل في الانطلاق من العقل أو الارتكاز على التجربة هي مسألة قديمة جديدة تحيل إلى المنهج الاستقرائي (induction) و المنهج الاستنباطي (déduction). و لكن مع تقدم وتراكم المعرفة في الميدان الإبستمولوجي أصبح هذا الجدل على ما يبدو عقيما بل و تعداه الزمن. و في هذا الصدد يقول عبد الكريم غريب:» في حين يظل المنهج التفاعلي من المناهج التي تأخذ بعين الاعتبار كل التفاعلات المحتملة بين عمليتي الاستقراء و الاستنباط، فان المعرفة تتكون عن طريق تفاعل كل من الذات و الموضوع، والأسبقية هنا، تصبح أمرا غير وارد»[2].

لقد ذكرنا سلفا مع كل من «ألان توران» تأكيده على ضرورة التقيد بالفرضيات و «بيار بورديو» الذي يرى أن التحقيق الميداني يعد أيضا علاقة اجتماعية والركيزة الأساسية لطبيعة المعطيات المجمعة. و « كلود دوبر « و هو يحث على ربط الملاحظات بالمفاهيم و الفرضيات.

ج/ لقد أبرزنا فكرة سايرت قسمي الكتاب تمثلت في عدم إمكانية توظيف أكثر من نموذج تحليل في بحث واحد، ذلكأن كل بحث علمي من الضروري أن يمتثل للقاعدة الإبستمولوجية القائلة بجزئية التصوير للواقع. من هنا نفهم «الأشكلة» (problématisation) الإشكالية والفرضيات) على أنها تختلف من نظرية إلى أخرى و يظهر ذلك جليا منذ طرح سؤال الانطلاق. يعبر سؤال الانطلاق –حسب وجهة نظرنا– على الزاوية الخصوصية التي يعالج من خلالها الباحث موضوع بحثه. لقد وضحنا هذه المسالة استنادا إلى كل من « فراسوا دوبي « من خلال جرده للتوجهات السوسيولوجيةالكبرى. كما يمكننا ذكر في السياق نفسه كل من" جمال غريد" حين أكد أن الأشياء لا تسير في الواقع المعيش حسب تلك الثنائية المجردة. لذا نبهنا على أن محاولة حل المسائل العلمية

[2] غريب عبد الكريم، مرجع سابق، صص.28/29

الخلافية يتطلب ضرورة الاستناد على المفكرين اللذين يمثلون مرجعيات فكرية و المتمرسين في تخصصاتهم بدلا من الاعتماد على الهواة و حتى المبتدئين. فحتى» كلود دوبر» يعترف بمحاولته العصية التي لم ينجر من وراءها الآخرين و المتمثلة في توظيف أكثر من منهج لمعالجة ظاهرة الجندر.

د/تراود الطلبة و حتى بعض الأساتذة الشباب فكرة الامتثال من عدمه لما امتثل إليه الباحثون الكبار حين استقروا على منهج واحد، و حول هذه النقطة كان ردنا بسيطا جدا، إذ لاحظنا أولا أن هؤلاء الأساتذة –الرعيل الأول– لم يتعد الثلاثينات آنذاك و ثانيا على الطالب الدكتورالي بل حتى الطالب في مستوى التدرج أن تكون لديه رؤية خاصة به منذ التحاقه بالجامعة على اقل تقدير و في ذلك سبل عديدة و متنوعة، بمعنى آخر نريد القول إنه ليس هناك مرحلة عمرية قد تكون بمثابة سقف نندمج وقته في ظل نموذج تحليل. و لكن ذلك لا يعني على الإطلاق أنه لا يمكن استغلال نتائج أبحاث في ظل نماذج تحليل أو فروع علمية أخرى، إما للتدليل أو للمناقشة أو حتى للاعتراض بل بالعكس تستحسن مثل هذه الوقفات التي يصطلح عليها بالمفاتيح النظرية ناهيك عن موقعة العمل الشخصي في إطار إشكالية تحدد درجة التطابق و الاختلاف للعمل الشخصي مقارنة مع أبحاث أجريت في ظل إشكاليات أخرى.

هـ/يقال أيضا إن الأحداث الاجتماعية الملاحظة في الواقع هي التي تفرض علينا المنهج المناسب، نذكر في هذا الصدد أن الأحداث الاجتماعية هي مواضيع معطاة و ليست مبنية، و على هذا الأساس يصبح من غير المعقول طرح مثل هذه الأسئلة أو الاعتقاد في هذه الفكرة المجانية للصواب. إن الباحث لا يملك ترسانة من المناهج يشهر أحدهما حسب الوضعيات التي تواجهه لأن الأمر يتعلق بقناعة علمية واحدة و وحيدة (نموذج تحليل) ينظر من خلالها لجزء من الواقع المعيش يراه أكثر وجاهة – كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل.

هـ/و غالبا ما تردد مقولة» طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج» دون الإدراك الحقيقي لتجلياتها العلمية. أجل نحن نساير هذه الفكرة ولكن لاحظنا أن هناك تباين في المعاني المعطاة لها. –فمن

وجهة نظرنا- نقول وباختصار شديد، بما أن طبيعة الموضوعتعني أساسا الموضوع المبني بمعنى الموضوع المؤشكل، فبالضرورة هو مبني في ظل منهج (نموذج تحليل) وبالتالي يصح الجزء الثاني في المقولة: إن جوهر هذه المقولة لازمنا طوال هذه الحوصلة.

نقتصر على فكرة مهيمنة عند الطلبة و التي تشكل اعتراضا لدى بعض الأساتذة بما فيهم بعض البارزين من الجيل الأول أي قصور براديغم « بيار بورديو « في الميدان التربوي بخصوص الجزائر، الداعي إلى أن هناك علاقة ارتباطيه بين الأصل الاجتماعي و ظاهرة النجاح أو الفشل (التسرب) المدرسي، بمعنى إذا كان التلميذ (الطالب) من أصل اجتماعي غني، كان مصيره المحتوم النجاح و إن كان من أصل اجتماعي فقير ، كان مصيره الفشل (أو الهدر). يعترض على هذه القاعدة بالقول إنها غير فاعلة في استقراء حالة المجتمع الجزائري، و دليله على ذلك أن أبناء الطبقات الشعبية متواجدون بقوة في الجامعة الجزائرية و كذا المعاهد العليا.

تظهر الملاحظة المباشرة التي لا تدع مجالا للشك قصور القاعدة النظرية» لبيار بورديو» و لكن تبقى قناعتنا الشخصية مخالفة تماما لهذا التوجه المهيمن. نعتقد أنه قبل الحديث عن النجاعة من عدمها من الضروري الانتباه و الحسم في الملاحظات التالية:

_ لا يعتبر المفهوم نسخة مطابقة للأصل للواقع المعيش بمعنى أن الواقع يظل دائما أوسع بجزئياته من المفهوم الذي هو عبارة عن تجريد نظري (عقلي) للواقع نفسه.

_ لقد تكلمنا سابقا عن مسألة توطين المفهوم الذي هو وليد بيئته أي أنه ذو علاقة مع خصوصيات و مميزات المجتمع الذي نحته، و كنا في هذا الصدد قد قدمنا بعض الأمثلة نذكر أهمها:

- تعويض مفهوم المؤسسة الاقتصادية بمفهوم المؤسسة الاقتصادية والاجتماعية مع"علي الكنز"، فك مفهوم الأنوميا إلى أنوميا جزئية وأنوميا كتلية مع "نذير معروف" وتعويض مفهوم المثقف العضوي بالمثقف الموظف والمثقف التقليدي بالمثقف المقلد مع "عبد القادر جغلول"عندما يتعلق الأمر بالمجتمع الجزائري.

-يظهر أنه من الضروري ربط تلك العلاقة بطبيعة و خصوصية المجتمع الجزائري وما أقبل عليه من ديموقراطية للتعليم، كما يمكن التساؤل عن الأصل الاجتماعي للطلبة وتراتبية الشعب العلمية الملتحق بها من جهة أخرى.